

مراحل تطور

الشعر العربي الحديث



مر الشعر العربي المعاصر بثلاثة أطوار :

الطور الأول : طور الضعف :

فقد كان شعراً ركيكاً ضعيفاً في شكله ومضمونه :

من حيث الشكل :

- اهتم الشعراء بالمناسبات وكان هم الشاعر عندما يهنئ مولود أو يرثي شخصاً أو يقرظ كتاباً أن يذكر في البيت الأخير أو عجزه تاريخ المولود أو المرثي أو تاريخ تأليف الكتاب . ومعلوم أن شعر المناسبات كثيراً ما يكون متكلفاً يفقد القوة والتأثير .
- كان متقللاً بأنواع الحسنات اللفظية المتكلفة التي أفسدت رونقه ، وأضاعت طلاوته .
- الأغراض تقليدية ليس فيها تحديد .

أما من حيث المضمون :

- فقد كانت المعاني محدودة ضعيفة مبتذلة، يقول د شوقي ضيف :  
( اقرأ دواوين الشعراء الذين عاصروا محمد على وعاساً الأول وسعيداً من مثل إسماعيل الخشاب . والشيع حسن العطار ، والشيع محمد شهاب الدين ، فلن تجد سوى صور لفظية قد تدرت بتياب غليظة من محسنات الديدع ولن تجد شعوراً ولا عاطفة، لقد تطلدت الحياة ، فجمد الشعر والشعراء ولم يعد هناك إلا التقليد .. فقد أصح الشعر حساباً وأرقاماً وتمارين هندسية عسيرة الحل).
- اهتم الشعراء بأمور ابتدعوها ، وأضاعوا فيها أوقاتا بغير جدوى، ومن هذه الأمور المتدعة :

- التشطير، ومعناه : أن يضيف الشاعر إلى كل شطر من أبيات قصيدة أعجب بها شطراً من عنده .

- الترقيط ، وهو أن تشتمل قصيدته على كلمات : كل كلمة فيها مبدوءة بحرف من حروف الهجاء مثل قول الشيخ على الدرويش توفي ١٨٥٣ م .

علَى على عينيك عدل عوانلي عذاب عليها عند عاشقها عذب

عدارك عذري عجب عطفك عدتي عيونك عصبي عاد عائبها عضب

أرأيت كيف عنى الشاعر نفسه وأتعبها في حشو البيتين بكلمات تبدأ بحرف

العين ؟ فما الذي استفاده الشعر من ذلك ؟

**الطور الثاني : طور الانتقال من التقليد إلى التجديد :**

في هذا الطور بدأت آثار عوامل النهضة في الظهور، فقد طبعت كثير من دواوين الشعراء في عصور العربية الزاهرة كما طبعت كتب الأدب التي ألغت في العصر العباسي أمثال كتب الجاحظ وابن المقفع وأمالي أبي علي القالي وغيرها كما عاد المبعوثون من أوروبا وقد اطلعوا على ألوان وأجناس من الأدب لم تكن معروفة في الأدب العربي .

وكان من أبرز شعراء هذه الفترة : رفاعة الطهطاوي الذي توفي سنة ١١٧٣م

وعائنة التيمورية التي توفيت سنة ١٩٠٢م .

ولأن هذه المرحلة مرحلة انتقال فلم يتخلص الشعراء تماماً من سمات الشعر

الركيك المليء بالمحسنات والتخميسات والتشطيرات ...

وبدا يظهر على ساحة الأدب ضادج جديدة في موضوعها جيدة في صياغتها  
كما في شعر الطهطاوي ؛ إذ يبدو التجديد فيما كتبه من الشعر الوطني ، استمع إليه  
يقول متغنيا بحبه لوطنه :

ولئن حلفت بأن مصر لجنّة . وقطوفها للفائزين دواني

والنيل كوثرها الشهي شرابه لأبر كل البر في أيماي

ويقول مشيدا بالجيش المصري :

يا بهي الجندود والقادة الأسود

أن أمكم حسود يعود هامى المدمع

فكم لكم حرور بنصركم تتوب

لم تثنكم خطوب ولا اقتحام معممع

نلمح في هذين النمودحين - التجديد في الموضوع ، والتحديد الموسيقي  
وكانت الشاعرة عائشة التيمورية أيضا مجددة في شعرها يقول العقاد .  
( فاذا استنينا البارودي أولاً والساعاتي ثانياً فشعر السيدة عائشة التيمورية لعلو  
إلى أرفع طبقة من الشعر ارتفع إليها شعراء مصر في أواسط القرن التاسع عشر إلى  
عهد الثورة العراقية ) .

استمع إليها ترثي ابنتها توحيدته التي ماتت في ريعان شبابها :

أماه قد عز اللقاء وفي غد سترين نعشي كالعروس يسير

وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير

قولي لرب اللحد رفقا بابنتي جاءت عروماً ساقها التقدير

أماه لا تنسى بحق بنوتي قبيري لنلا يحزن المقبور

والجديد في هذا النموذج أنها أدارت الحديث على لسان المرثية لا على لساننا خلفنا لما كان معهوداً في الرثاء .

### الطور الثالث : طور التجديد والأصالة :

في هذا الطور نخلص الشعر تماماً من قيود الصنعة ، وأغلال التكلف ، وارتقت العاية الشعرية من الضعف والركاكة إلى القوة والمتانة ، ومن التقليد والرتابة إلى التجديد والحرارة . وأصبح الشعر كما قال العقاد " فقد طهر جيل جديد من الشعراء حتم قيود التقليد تحطيماً كاملاً " .

وقد رأى الشعراء أن العودة إلى الأصالة ومواظن القوة في عصور الشعر الحاهلي والاموي والعباسي والأندلسي ، لذلك بدأ على شعر هذه المرحلة وصوح السال والمحدث على سبيل الشعر العربي القديم ، فسار الشعراء على نهج المتنبي وأبي العلاء المعري والشريف الرضي ، وابن زيدون والنحيري حتى أن النقاد أطلقوا على شعراء هذه الحقبة أصحاب (الانحاد الديباني المحافظ ) والتي من أبرز شعرائها

- الشيخ ناصيف البارحي توفي سنة ١٨٧١م
- إبراهيم بن علي الأحدث توفي سنة ١٨٩١م في لبنان
- محمود سامي البارودي توفي سنة ١٩٠٤م في مصر .

ويلاحظ أنهم - وغيرهم من شعراء هذه الفترة - اهتموا بدقة التعبير، وجزالة اللفظ، واختيار المعاني الرفيعة والموسيقى العذبة الواضحة.

يقول د. هيكل في شعر هذا الطور: (..كان أسلوباً حياً مشرقاً قد اختير للتعبير عن أغراض تشبه أغراض الأقدمين حيناً وتختلف عنها في كثير من الأحيان على أن الشاعر من أصحاب هذا الاتجاه كان يتخذ من العالم العربي القديم عالماً مثالياً يخفق له قلبه.. إنه عالم الأبناء الأماجد، والتاريخ العريق، والدولة الإسلامية العربية الغالية).

وكان لكتاب "الوسيلة الأدبية" للشيخ (حسين بن أحمد المرصفي) توفى سنة ١٨٨٩م أثر واضح في شعراء هذا الطور بما قدم للشعراء من نماذج شعرية رفيعة. وبما تناول من شعر البارودي بالتحليل والإشادة ثم جاء شعراء الجيل الثاني بعد البارودي متمتلاً في: شوقي وحافظ ومحمد عبد المطلب في مصر، وحليل مطران في الشام ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي في العراق، وقد حذا جميعهم حذو البارودي، فعاد الشعر إلى مساره الطبيعي في طريق القوة والجزالة والتجديد.

### موضوعات الشعر في هذا الطور:

هموم الوطن وقضاياها

اهتم الشعراء في هذا الطور بأوطانهم وقضاياها اهتماماً كبيراً فقد شاركوا أمتهم أتراحها وأفراحها، وتناولوا حياة أمتهم السياسية، وما يعترضها من قضايا مصرية:

فهذا شوقي يتناول في شعره قضايا سياسية مرت بها مصر أو غيرها من بلدان العرب ، يقول مشيراً إلى الاحتلال الإنجليزي وما كان يفعله في البلاد :

أحرام على بلبله الدو ح حلال للطير من كل جنس  
كل دار أحق بالأهل إلا في خبيث من المذاهب رجس  
ويقول في نكبة دمشق وما وقع عليها من اعتداء واحتلال :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكتكف يامشوق  
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق  
وللأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق

وكذلك كان الشاعر حافظ إبراهيم في شعره . يندد بالاحتلال الإنجليزي ويذكر ماونه:

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاعنا والودادا  
إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجيادا  
ويقول للمحتل :

أنت جلدنا فلا تنس أننا لبسنا على يدك الحدادا

ويتحدث خليل مطران داعياً إلى محاربة الجهل ومحو الأمية :

إن جهل الشعب فالحكم الخليق به      حق العزيزين من وال وسلطان

وكان من القضايا التي تناولها الشعراء :

- قضية (الحجاب والسفور) التي أثارها قاسم أمين بكتابه ( تحرير المرأة ).

(المرأة الجديدة) فكانت مثار جدل بين مؤيد ومعارض :

وكان ممن عارض اللسفور أحمد محرم الذي قال :

أغرك يا أسماء ما طنّ قاسم      أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم

تضييقن نرعاً بالحجاب وما به      سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم

سلام على الإسلام في الشرق كله      إذا ما استبيحت في الخدور المحارم

ومن وقف موقفاً وسطاً حافظاً إبراهيم يقول :

من لي بتربية النساء فإنها      في الشرق علة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها      أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم أستاذ الأساتذة الأولى      شغلت مآثرهم مدى الأفاق

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا      بين الرجال يجلن في الأسواق

كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا      في الحجب والتضييق والإرهاق

فتوسطوا في الحاليتين وأنصفوا      فالشر في التضييق والإطلاق

ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقنين لمن خير وثاق  
- تجريرت النفي عن الوطن

وقد عانى منها الشاعر محمود سامي البارودي من تجربة النفي ، والتشريد  
على يد الاحتلال ، حيث نفي إلى سرنديب ، وقضى فيها ١٧ عاماً ، ذاق خلالها آلام  
البعد عن الأهل والوطن ، يقول عن معاناته ويعرض بالاحتمال وجرائمه :

أبيت في غربة لا النفس راضية بها ولا الملتقى من شيعتي كتب  
فلا رفيق سر النفس طلحته ولا صديق يرى مابي فيكتتب  
ومن عجائب ما لاقيت من زمني أنني منيت بخطب أمره عجب  
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلما وأغترب

وكذلك عانى الشاعر شوقي من النفي إلى الأندلس ، يقول مبيناً حنيه إلى  
معر وأملها :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي  
وهفا بالفؤاد في سلسبيل ظمأ للسواد من عين شمس  
شهد الله لم يغيب عن جفوني شخصه ساعة ولم يخل حسني

## استيحاء التراث :

برزوا ضحا استلهم الشعراء جوانب التراث والاستفادة منه والتغني بما فيه  
من قيم وإيجابيات ويبدو ذلك جليا في عناوين القصائد وفي محتواها :  
فمن التراث الديني :

### قصائد شوقي المصنونة مثل :

- ( الهمزية النبوية )

- ( نهج البردة )

- ( زكري المولد )

وكذلك حديثه الطويل عن مصر وتاريخها القديم في قصيدة ( كبار الحوادث  
في وادي النيل ) وما كتبه حافظ إبراهيم في قصيدته العمرية التي يسرد في أبياتها  
سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والتي منها :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا	بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها	سورا من الجند والأحراس تحميها
راه مستغرقاً في نومه فرأى	فيه الجلالة في أسمى معانيها
وقال قولة حق أصبحت مثلاً	وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقتت العدل بينهم	فتمت نوم قرير العين هانيها

### قضايا العالم الإسلامي والعربي :

شهد النصف الأول من القرن العشرين تلك الأحداث الهجمة الصليبية على  
الدولة العثمانية التي قامت على الإسلام . فتألفت الجمعيات السرية المشوهة التي

أخذت تنخر في جسد الدولة العثمانية تساعدها اليهودية الحاكمة على الإسلام  
متدثرة بشعارات الحرية والقومية ثم تدخلت الدول الأوروبية الصليبية فقصوا على  
الخلافة ، وولوا وجه تركيا شطراً أوربا فحاربوا الإسلام واللغة العربية حرباً لا هوادة  
فيها فهذا شوقي يعبر عن فرحته لانتصار الأتراك في حرمهم ضد أداء  
الدولة يقول :

الله أكبر كم في الفتح من عجب      يا خالد الترك جدد خالد العرب  
حدوت حرب الصالحين في زمن      فيه القتال بلا شرع ولا أدب  
لم يأت سيفك فحشاء ولا هتك      قناك من حرمة الرهبان والصلب  
ولا أزيدك بالإسلام معرفة      كل المروءة في الإسلام والحسب

ويحزن شوقي لسقوط الخلافة العثمانية ، ويحزن المسلمين جميعاً ، عندما  
قام مصطفى أتاتورك بإسقاط الخلافة ، فكان وقع ذلك على المسلمين شديداً أليماً  
يقول :

عانت أغاني العرس رجع نواح      ونعيت بين معالم الأفراح  
كفنت في ليل الزفاف بثوبه      ودفنت قبل تبليج الإصباح  
ضجت عليك منابر ومآذن      وبكت عليك ممالك ونواح  
الهند والهة ومصر حزينه      تبكي عليك بمدمع سحاح  
والشام تسأل والعراق وفارس      أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟